خطاب جلالة الملك
بمناسبة الاستفتاء على الدستور

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

إن خير ما افتتح به حديثي هذا هو الحديث النبوي الشريف الذي رواه الأئمة والذي فتح به صحيح الامام البخاري في كتاب الايمان حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

صدق النبي صلى الله عليه وسلم.

وإننا لنرى في هذا الحديث الذي يشتمل على النية والنوايا والذي يذكر الهجرة أحسن مدخل لحديثنا هذا في يوم الهجرة في فاتح محرم.

شعبي العزيز عيدك مبارك سعيد، وسنتك مليئة إن شاء الله بالأفراح والمسرات مدى الدهر ومدى الأزمان.

أما بعد، قلنا في خطابات وجهناها اليك شعبي العزيز اننا نجري اتصالات واستشارات حتى نلم بحاجيات الجميع فيتأتى لنا إرضاؤها وحتى نعرف مقاصد الجميع فنتمكن من إرضائها، وحتى نستقصي أكثر ما يمكن من المعلومات لنكون على بينة تامة من أمرنا فيما نترك وفيما نأخذ، فيما نأتي به وفيما ندع، وليست تلك الاستشارات والاتصالات إلا نتيجة لما كنا قلناه لك في خطابنا يوم رابع غشت من السنة الماضية، ذلك الخطاب الذي ضمناه أفكاراً وبرنامجاً، أفكاراً مذهبية حول أسس الحكم وتوزيع المسؤوليات، وبرنامجاً حول ما نريد أن نخلق لك من جو ونئشىء لك من مجتمع حتى تعيش رافلا في سعادة واطمئنان، أما البرنامج فأنت تعرفه فهو في أربع نقط :

أولا : تقويم الأدارة.

ثانيا : توزيع الخيرات المغربية توزيعاً يكون مطابقاً لروح الاشتراكية الاسلامية.

ثالثا : العدالة النزيهة.

رابعا : تسهيل جميع ما يمكن أن يتعسر من الناحية الادارية، وهذا البرنامج اذا ما طبق يضمن للجميع الحياة الطيبة التي بشرناك بها والتي ليست عزيزة علينا ولا على سواعدنا ولا على أفكارنا وإقدامنا.

أما نظريتنا في الحكم فقد قلنا لك إن الحكم بمعنى التحكيم هو شيء بيد الشعب والشعب يبايع عليه من أراد، فمن ثم لا يمكن تفويت الحكم ولا تفويضه، لأن الحكم كلمة الشعب وكلمة الشعب هي البيعة وبيعة الشعب في عنقنا، تلك أمانة وهي أخطر الأمانات، ولا إيمان لمن لا أمانة له، فلا يمكن تفويتها ولا تفويضها.

وهناك السلطة التي توازي المسؤولية والتي بدونها لا يمكن لأية مسؤولية أن يكون لها مدلول، تلك السلطة قلنا إننا نريد أن نوزعها، أن ننظر فيها أولا فنفرق فيها بين ما هو تنظيمي وبين ما هو تشريعي، ثم نوزعها أحسن ما يمكن بين جهازين تنفيذي وتشريعي توزيعاً يضمن أولا التوازن حتى لاتطغى أية سلطة من جهة،

وتوزيعاً واقعاً حتى لاتوقف السلطة التشريعية سير السلطة التنفيذية وحتى لاتسير السلطة التنفيذية في طريق دون مراقبة السلطة التشريعية.

وزدنا وقلنا إننا لا نريد أبداً أن نستأثر وحدنا بالأمر والنهي، لا نريد أبداً أن نستأثر وحدنا بالمسؤولية، تلك المسؤولية الصغيرة أو المتوسطة، ذلك لأننا نعتقد أنه لا يمكن لأي مغربي مغربي أن يدعي أنه مغربي أكثر من الآخر، ولايمكن لأي رجل في القرن العشرين أن يدعي أنه يمكنه أن يلم بجميع مشاكل الحياة اقتصادية كانت أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية، فإذا ادعى ذلك سيكون من البهتان، لم إذن ستبقى السلط متشعبة داخلة بعضها في بعض؟.

لم ستبقى دواليب الدولة تختفي وراء اللامسؤولية؟.

لم سيبقى ممثلو الأمة الذين صوتت عليهم شعبي العزيز بمعزل عن بعض النشاطات التي هي ضرورية ؟.

لم إذن ونيتنا صالحة، ونحن في سيرنا كمن هو لم يهاجر إلى الله ورسوله ولا إلى شعبه الكريم ولا إلى إعلاء كلمة وطنه العزيز، ولكن كأنه هاجر إلى الحكم للحكم، إلى السلطة للسلطة، إلى الدكتاتورية للدكتاتورية.

حاشا لله، لم يكن هذا من شيم العلويين قط، والعلويون يفتخرون بأنهم سلالة النبي صلى الله عليه وسلم، ذلك الذي قال له ربه سبحانه وتعالى : وأمرهم شورى بينهم، لذا لم يصعب علينا من تم ومن هنا أن ننطلق، إلى بناء صرح جديد، لا أقول إلى إعادة بنائه، ولكن إلى إدخال بعض التحسينات والتعديلات عليه، ألا وهو مشروع الدستور الجديد.

نعم شعبي العزيز ليس الأمر أمر حكومة ولا أمر أشخاص مثلما هو أمر مؤسسات وأمر نيات وضمائر، فكيفما كانت الآلة لايمكن استعمالها على أحسن الوجوه وأتقنها إلا إذا وضعت في كف من يعرف استعمالها وإلا إذا أوتي القوس باريها.

إننا كما قلنا لك شعبي العزيز سنقدم على استفتائك في مشروع دستور جديد يمكن أن نلخص تعديلاته فيما يأتي :

أولا : من الناحية التنفيذية ستعطي الحكومة جميع الوسائل لتنفيذ وتطبيق الأوامر والاتجاهات والتوجيهات حتى لايمكن لأي أحد أو لأي حكومة إما جماعة أو أفراداً أن تختفي وراء ستار أو تتخذ أي أحد أو أي مؤسسة كحجة لتقاعسها وتخاذلها.

ثانياً : وقال الله سبحانه وتعالى : ولقد كرمنا بني آدم، تكريماً لشعبنا وتكريماً لمن يمثلونه فقد وسعنا نطاق اختصاصات القانون، فإذا كانت اختصاصات البرلمان واختصاصات مناقشاته ودراساته ضيقة بالنسبة للماضي فستصبح مطابقة لما تريد أن تكون عليه في سنة 1972 حتى يمكنك من خلال ممثليك أن تراقب أعمال الحكومة في ميادين أوسع وأشمل.

ثالثاً : إن المجلس القديم كان يتكون في ثلثه من أعضاء منتخبين بكيفية مباشرة وفي ثلثيه الآخرين من أعضاء منتخبين بكيفية غير مباشرة.

وإننا لنعتقد أن الكيفية المباشرة تحمل المنتخب أكثر مسؤولية، لأنها تجعله دون واسطة باتصال مستمر

مع منتخبيه، لذا قررنا أن يكون ثلثا المجلس منتخباً بكيفية مباشرة، والثلث الآخر هو الذي سيكون بكيفية غير مباشرة.

وأخيراً النقطة الأخرى كان في دستور 1970 فيما يخص مراجعة الدستور أن حق مراجعة الدستور للملك وحده، ولمجلس النواب أن يرفع ملتمسا إلى جلالة الملك لطلب المراجعة، وكان ذلك الطلب من شأنه أن يقبل أو لا يقبل، أما في الدستور الحالي الذي سنعرضه عليك فحق المراجعة بقي للملك ومن جهة أخرى أعطى لمجلس النواب — شريطة أن يصوت على مشروع التعديل ثلثا أعضاء المجلس — حق المراجعة، وتكون تلك المراجعة بواسطة الاستفتاء.

وستجد شعبي العزيز في الدستور الجديد مسائل أخرى بدلت وغيرت، إلا أن الأبواب العامة والأفكار الكبرى هي التي عرضتها عليك الآن حتى نركز في ذهن الجميع أن للحكومة عندما يصبح هذا الدستور نافذ المفعول، أن للحكومة مسؤوليات تباشرها دون أي عذر.

ولمجلس النواب اختصاصات أوسع ستمكنه من مراقبة أعمال الحكومة من جهة، ومن رسم الخطط العامة لسير السياسة سواء في الداخل أو في الميدان الخارجي.

وهكذا شعبي العزيز سيمكننا أنت وأنا، باقتراعك وأنا بحقي المزدوج في تعيين الحكومة من جهة وبحقي في إمكان حل البرلمان، وأنت بواسطة الانتخاب، سيمكننا أنت وأنا أن نبقى حكماً بين هذه السلطة وبين تلك السلطة، ذلك الحكم الذي يلعب دوره في طمأنينة وفي اطمئنان والذي يتخذ رأيه ويقول كلمته وهو بجانب عن المعارك البشرية التي لابد لنا أن نراها وسنراها والتي سيخوضها ويخوضها كل من تعاطى للسياسة كحرفة ومهنة.

ولكن علينا، شعبي العزيز، أن نعلم شيئاً ونومن به، وهو أنه كيفما كانت أية حكومة إما في الدستور الحالي وإما في الدستور المقبل، وإما في الفترة الاستثنائية، لايمكن لأية حكومة محترمة تريد أن تبقى مستمرة في سيرها أن تتنازل عن مسؤوليتها الأولى وواجبها الأول : وهو ضمان الطمأنينة وضمان الأمن والضرب على يد كل من سول له الشيطان إما شيطان الجن وإما شيطان البشر الاستهتار بالقوانين والتلاعب بأمن البشر.

أقول هذا حتى يعلم الجميع أن المظاهرات لاتفزعنا، وأن المطالب نريد أن نناقشها.

ولكننا لانناقش ولن نناقش أي مطلب ولا أي مطمح تحت أي ضغط كيفما كان نوعه، وأينما وجد، وكيفما كانت قوته، وكيفما كان سن أصحابه.

وهذا عليك شعبي العزيز أن تعلمه، فلا توجد حكومة محترمة تحترم نفسها في هذا الدستور أو في المقبل أو في الفترة الاستثنائية يمكنها أن تشجع على الشغب وعدم الامتثال لأوامر الأمن.

ولا يمكن أن نستفتي أنفسنا وندلي برأينا ونعطي نظرنا في الدستور المقبل بكل نزاهة وإخلاص إلا إذا وضعنا وراءنا كل المسائل الجانبية التي من شأنها أن تحل في المستقبل.

كل شيء يمكن أن يحل، كل مشكل له حل إلا مشكل الحماقة، وهي الجهالة الجهلاء، تلك التي تذهب باليابس والأخضر، تلك التي تذهب بالغث والسمين، وتلك التي لايمكن لأي رئيس دولة كيفما كان ولا لأي

حكومة كيفما كانت ولأي برلمان كيفما كان تركيبه من أي نزعة كانت، لايمكن لهؤلاء الثلاث أن يسمحوا بأن يعبث بأمن الدولة وبمؤسساتها ومقدساتها.

وإذن شعبي العزيز على بركة الله.

في ظرف أقل من عشر سنوات، هذه هي المرة الثالثة التي أدعوك فيها إلى الاستفتاء، ورب قائل يقول : هذا تلاعب، ثلاث استفتاءات في تسع سنوات، وأنا أقول كلا ثم كلا، إن استفتاءات متكررة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الأدمغة ليست جامدة، وعلى أن الضمائر مازالت حية، وعلى أن روح الطموح وارادة الوثبة إلى الامام هي التي تلهمنا كلما طلبنا منك أن تعطي نظرك في موضوع هام كهذا.

ولكننا لانرضى لنفسنا عيشاً رغيداً بمعزل عنك أيها الشعب، بمعزل عن تياراتك، بمعزل عن المنظمات السياسية التي هي أطرك، بمعزل عن المنظمات الحرفية التي هي بين أحضانك، لو كنا نريد أن نعيش بمعزل عن هذا، بمعزل عما يقال وما يكتب، بمعزل عن أي مطلب من المطالب، لو كنا نريد أن نعيش أنت في ضفة ونحن في ضفة، لما أتينا بأي تغيير من التغييرات، ولكن نريد بالعكس من هذا، نريد أن نضع يدنا جميعاً في الأكلة التي سنأكلها جميعاً ، نريد أن نأخذ جميعاً بالحبل الذي يجر سفينتنا من الشاطىء الى وسط البحر، ذلك البحر الشاسع المليء بالخيرات، المليء بالآفاق العظام، المليء بما من شأنه أن يسد حاجياتنا من جهة ويرضي مطامحنا من جهة أخرى.

فقل كلمتك شعبي العزيز بكل حرية وبكل نزاهة، ولك أن تبتدىء الحملة بقول لا أو بقول نعم بكل حرية ابتداء من غد، وستكون نهاية الاستفتاء متم شهر فبراير إن شاء الله

وأملي في أن الله سبحانه وتعالى سوف يلهمك سواء السبيل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا فراسة المؤمن، فإن فراسة المؤمن لاتخطىء، وأوصى أحد أصحابه فقال له صلى الله عليه وسلم : استفت قلبك، فاستفت قلبك شعبي العزيز، وانظر أمامك وخلفك، وانظر عن يمينك وعن شمالك تجد واقعك، فحلل واقعك، وحلل أمامه حاجياتك، وبين واقعك وحاجياتك حلل إمكانياتك، وفوق هذا كله غط هذا كله بالمشروع تجد فيما أعتقد أن عملنا هو نسبياً خير عمل في الوقت الحاضر الذي من شأنه أن يسير بنا إلى شاطىء النجاة.

ربنا آتنا من لدنك رحمةً وهيىء لنا من أمرنا رشدا، ربنا وفقنا لما فيه الخير، ربنا سدد خطانا، في هذا اليوم يوم فاتح محرم يوم هجرة نبيك صلى الله عليه وسلم تلك الهجرة التي هي هجرة إلى الله ورسوله إلى السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية.

والسلام عليك شعبي العزيز ورحمة لله تعالى وبركاته.

ألقي بالرباط

الخميس فاتح محرم 1392 — 17 يبراير 1972